وصايا الملوك والأمراء

obeikan.com

obeikan.com

وصايا الملوك والأمراء

قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيار: ينبغي للأمير أن يكون له ستة أشياء: وزير يثق به ويفضي إليه بسره، وحصن يلجأ إليه، إذا فزع أنجاه، تعني فرسًا جوادًا، وسيفٌ إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبةٌ حملها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له شيئًا يشتهيه[٦٢].

وقال بزر جمهر :عاملوا أحرار الناس بصفو المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وعاملوا السفلة بالمخافة صراحًا.

وقال بعض ملوك الفرس لحكيم من حكمائهم: أي الملوك أحزم ؟ قال: من ملك جده هزله، وقهر لبه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.

كتب بعض ملوك العجم إلى بعض حكمائهم: إن الحكماء قد أكثروا في وصف خلال أسباب الفتن، فاكتب إلي بما ينشئها ويميتها، فكتب إليه: تنشئها ضغائن، وتنتجها أثرة وأطماع لم يقمعها ذعرٌ وجرأة عامةٍ ولدها استخفافٌ بخاصةٍ، وأكدها انبساط الألسن بضمائر القلوب، وإشفاق موسرٍ، وأمل معسر، وغفلة متلذذٍ، ويقظة محرومٍ. ويميتها ذل مسلوبٍ وعز سالبٍ، ودرك بعيدٍ وموت أملٍ، وذهاب ذعرٍ وتمني رغبٍ. فكتب إليه: الذي وصفت كما وصفت. فأي الامور أدفع لما ذكرت ؟ فكتب إليه: أخذ العدة لما تخاف حلوله، وإيثار الجد حتى تبيد الهزل، والعمل بالعدل في الغضب والرضا.

قال المدائني: لما ولي زياد بن أبيه صعد المنبر بعد صلاة الظهر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني رأيت خلالاً ثلاثًا نبذت إليكم فيها بالنصيحة: رأيت إعظام ذي الشرف، وإجلال ذي العلم، وتوقير ذوي الأسنان، وإني أعاهد الله لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف له شرفه - على ضعته - : إلا عاقبته، ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجنه عليه - : إلا عاقبته، فإنما الناس بأعلامهم وذوي أسنانهم. ثم تمثل:

---

(٦٢) روضة العقلاء (صـ٢٦٩).

تُهدَى الأُمورُ بأهل الرأْي ماصلَحتْ فـإِن تولـتْ فبالأشـرارِ تَنْقَـادُ
لايَصْلُحُ القومُ فَوْضَى لاسَرَاةَ لَهُمْ ولاَ سَـرَاةَ إذا جُهـالُهم سَـادُوا

قال أبو الحسن المدائني: أوفد زياد بن أبيه عبيد بن كعب النميري إلى معاوية، فقال له معاوية: أخبرني عن زياد ؟ قال: يستعمل على الخير والأمانة، دون الهوى، ويعاقب على قدر الذنب، ويسمر فيستحزم بحديث الليل تدبير النهار. قال: أحسن. فكيف يعمل في حقوق الناس ؟ قال: يأخذ ماله عفوًا. قال: فكيف عطاياه؟ يمنع حتى يبخل، ويعطي حتى يقال جواد. قال :أحسن. إن البذل رضيع العدل. فكيف الشفاعة عنده ؟ قال: ليس فيها مطمع، وما فعل من خير فلك وله[٦٣].

كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر: " إنك قد أصبحت ملكًا على ذوي جنسك، وأوتيت فضيلة الرئاسة عليهم، فمما تشرف به رئاستك وتزيدها نبلاً - : أن تستصلح العامة، لتكون رأسًا لخيار محمودين، لا لشرارٍ مذمومين. ورئاسة الاغتصاب - وإن كانت تذم لخصالٍ شتى - فإن أول ما فيها من المذمة أنها تحط قدر الرئاسة. وذلك: أن الناس في سلطان الغاصب كالعبيد لا كالأحرار، ورئاسة الأحرار أشرف من رئاسة العبيد، ومن تخير رئاسة العبيد على رئاسة الأحرار كمن تخير رعي البهائم على رعي الناس، وهو يظن أنه قد أصاب وغنم. فحال الغاصب - فيما يركب من الغصب - هذه الحال؛ لأنه يطلب محل الملك وشرفه، وليس شيءٌ أبعد من شرف الملك من الاغتصاب، لأن الغاصب في شكل المولى، والملك في شكل الأب اللطيف. ومما يضع قدر الرئاسة ما كان يصنع ملك فارس: فإنه كان يسمي أباه وكل أحدٍ من رعيته: عبيدًا. والرئاسة على الأحرار والأفاضل خيرٌ من التسلط على العبيد وإن كثروا؛ وهي عند الناس جميعًا أولى، ولا سيما لذوي الفهم والأخطار. وأنت حقيقٌ أن تسل سخيمة العامة، بما تذيقهم من رفق تدبيرك، وتضعه عنهم من مكروه العنف والخصاصة؛ فإن العبيد إذا عرضوا على المشترين لا يسألون عن يسارهم وجاههم، وإنما يسألون عن أخلاقهم، : وهل فيهم فظاظة ؟ فالأحرار أجدر أن يتعرفوا ذلك، وأن يعروا منه إذا كان ذلك في السلطان؛ ولذلك ما يصيرون إلى خلعه والوثوب عليه. وإذا ظهرت على فئةٍ فضع من أوزار الحرب وأوزار الغضب، لأنهم في تلك الحال كانوا

(٦٣) لباب الآداب (صـ١٣).

عدوا، وفي هذه الحال صاروا خولاً فقد ينبغي أن تبدلهم من الغضب رحمةً وعطفًا. وقد ينبغي للسلطان أن يعرف مقدار الغضب، فلا يكون غضبه شديدًا طويلاً، ولا ضعيفًا قصيرًا، فإن ذلك من أخلاق السباع، وهذا من أخلاق الصبيان. ومن كبر الهمة أن يكون الملك متعطفًا على الناس، ، فإنه بالعطف والرحمة ينبل ويبعد صيته. وأنا أعرفك على هذا المذهب، ولكني لا آمن أن تتوانى فيه، مما جرى عليك من ناسٍ كثيرٍ من سوء المشورة؛ فإن كثيرًا من الناس يشيرون - إذا استشيروا - بغير ما يشاكل المشار عليه، بل بما يشاكلهم، وليس بما ينتفع به في الأمر الحادث، ولكن بما يخصهم نفعه في أنفسهم. وأنا أحب لك أن تقتدي برأي أسندوس حيث يقول: إن فعل الخير في الجملة أفضل من فعل الشر، ومن يستطيع أن يغلب الشر بالخير دون الشر، فهي أشرف الغلبتين؛ لأن الغلبة بالشر جلدٌ، والغلبة بالخير فضيلةٌ. واعلم أنه قد أمكنك أن تودع الناس من حسن أثرك ما ينشر ذكره في آفاق البلاد، ويبقى على وجه الدهر - : فافترصْ ذلك في أوانه. واعلم أن الذي يتعجب منه الناس: الجزالة وكبر الهمة؛ والذي يحبون عليه: التواضع ولين الجانب. فاجمع الأمرين، تستجمع محبة الناس لك، وتعجبهم منك. ولا تمتنع أن تتكلم بما يطيب قلوب العامة؛ فإن الناس ينقادون للكلامٍ أكثر من انقيادهم بالبطش. ولا تحسب أن ذلك يضع من قدرك، بل يزيده نبلاً: أن تنطق بالخير إذ أنت على الشر قادر. واعلم أن التودد من الضعيف يعد ملقًا، والتودد من القوي يعد تواضعًا وكبر همةٍ؛ فلا تمتنع أن تتودد إلى العامة لتحصل لك محبتهم، وتنال الطاعة منهم. واعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلق الأفعال، وتمحو الآثار، وتميت الذكر، إلا ما رسخ في قلوب الناس، لمحبةٍ تتوارثها الأعقاب. فاجتهد أن نظفر بالذكر الذي لايموت، بأن تودع قلوب الناس محبة يبقى بها ذكر مناقبك، وشرف مساعيك. ولا ينبغي للمدبر أن يتخذ الرعية مالاً وقنيةً، ولكن يتخذهم أهلاً وإخوانًا. ولا ترغب في الكرامة التي تنالها من العامة كرهًا، ولكن التي تستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير[٦٤].

وأوصى ملك من ملوك حمير أخاه، فقال: لا تتجاوز بالأمور حدودها، ولا يكن الإفراط من شأنك في نكالٍ ولا نوال؛ فإنه في النوال يجحف ويكثر فيه عليك، وفي النكال ما يؤثمك ويحنق عليك ويبغضك. وإذا أنكرت نفسك فأمسك وغالب هواك، فإنه أضر ما اتبعت، واعمل بالحق فإنه لا يضيق معه

(٦٤) لباب الآداب (صـ١٧).

شيءٌ، ولا يتعب منه عاقل، ولا يتعقب منه تبعةٌ. وليكن خوف بطانتك منك أشد من أمنهم بك[٦٥].

قال أبرويز لابنه شيرويه: لا توسعنّ على جندك سعةً يستغنون بها عنك فيطغوا، ولا تضيق عليهم ضيقًا يضجون به منك، ولكن أعطهم عطاءً قصدًا وامنعهم منعًا جميلاً، وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء.

وكتب إليه أيضًا من الحبس: اعلم أن كلمةً منك تسفك دمًا وأخرى تحقن دمًا، وأن سخط سيفك مسلول على من سخطت عليه، وأن رضاك بركةٌ مستفادةٌ على من رضيت عنه، وأنّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ، ومن لونك أن يتغيّر، ومن جسدك أن يخفّ، فإن الملوك تعاقب حزمًا وتعفو حلمًا. واعلم أنك تجلّ عن الغضب، وأن ملكك يصغر عن رضاك، فقدر لسخطك من العقاب ما تقدر لرضاك من الثواب.

وكتب إليه أيضًا من الحبس: اختر لولايتك امرًا كان وضيعًا فرفعته، وذا شرفٍ كان مهملاً فاصطنعته، ولا تجعله امرًا أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا امرًا أطاعك بعدما أذللته، ولا أحدًا ممن يقع في خلدك أنّ إزالة سلطانك أحبّ إليه من ثبوته؛ وإياك أن تستعمله ضرعًا غمرًا، كثيرًا إعجابه بنفسه، قليلاً تجربته في غيره، ولا كبيرًا مدبرًا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السّنّ من جسمه[٦٦].

وكتب سابور بن أردشير في عهده إلى ولده:ليكن وزيرك مقبول القول عندك، قويّ المنزلة لديك، يمنعه مكانه منك وما يثق به من لطافة منزلته، من الخشوع لأحدٍ أو الضراعة أو المداهنة لأحد في شيء مما تحت يده، لتبعثه الثقة بك على محض النصيحة لك، والمنابذة لمن أراد غشك وانتقاصك حقّك. وإن أورد عليك رأيًا يخالفك ولا يوافق الصواب عندك، فلا تجبهه جبه الظّنين، ولا ترده عليه بالتجهّم فيفتّ ذلك في عضده، ويقبضه عن إبثاثك كل رأيٍ يلوح صوابه، بل اقبل ما ارتضيت من قوله، وعرّفه ما تخوفت من ضرر الرأي الذي انصرفت عنه، لينتفع بأدبك فيما يستقبل الرأي فيه. واحذر كل الحذر أن تنزل هذه المنزلة سواه ممن يطيف بك من خدمك وخاصتك، وأن تسهل لأحد منهم سبيل الانبساط

(٦٥) لباب الآداب (صـ١٨).

(٦٦) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٣)، العقد الفريد (١/ ٦).

بالنطق عندك والإفاضة في أمور ولايتك ورعيتك، فإنه لا يوثق بصحة رأيهم، ولا يؤمن الانتشار فيما أفضي من السر إليهم[٦٧].

وصية كندة:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن كندة - وهو ثور ابن المرتع، واسم المرتع نبت بن مالك بن زيد بن كهلان - وصى بنيه، وهم أثله ونحيب ومعاوية، وهو جدّ الملوك المتوجة من كندة، فقال لهم: يا بني احفظوا أنفسكم عما يشينها، وحثوها على ما يزينها. يا بني، ما أفلح غادر قط، ولا ساد خائن يومًا من الدهر، ولا عاش كريمًا إلا حميدًا، ولا مات جواد إلا فقيرًا ولست أرى شيئًا أذل من البخل، ولا أحسن من المنفرد الوحيد. ثم أنشأ يقول:

بَنِيَّ احفظُوا للدَّهرِ منِّي خصائلاً ... تعيشُوا بها بينَ الأنامِ مُلُوكَا
بَنِيَّ أقلُّ النَّاس مَنْ كانَ غادرًا ... فكانَ لإحرامِ الرِّجالِ هَتُوكا
وأكثرهُمْ من كانَ في العُرفِ آمرًا ... وكانَ لمذمُومِ الفعالِ ترُوكا
وأكرمُهُم من كان في سُبُلِ العُلا ... وفي مهيعِ المجدِ التَّليد سلُوكا
وأحملهم من كان يُلفَى لقومِهِ ... إذا ندبُوهُ للنِّزالِ وشيكا
وكان لدى الهيجاءِ في كُلِّ مشهدٍ ... قصُومًا لأقرانِ الرِّجال بتُوكا
وإيَّاكُمُ والبُخلُ فالبُخلُ ربُّهُ ... وإن كان ذا مالٍ يموتُ ضريكا
ولو عاشَ ما قد عاشَ لُقمانُ لم يكُنْ ... مع البُخلِ إلا خامِدًا وهلُوكا
بنيَّ صِلُوا الأرحامَ كي لا تفرَّدُوا ... إذا كان طعنُ الواصلين شكُوكا
فما اللَّيثُ إلا بالعرين الَّذي بهِ ... لما شاءهُ عند الجبالِ دروكا
وليسَ امتناعُ البيتِ إلا بأهلِهِ ... وإن ... سميكا[٦٨]

وصية عمرو بن عامر:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي أن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس لما حضرته الوفاة جمع بنيه وقومه فخطبهم وأوصاهم - وكان قد

(٦٧) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٣).
(٦٨) وصايا الملوك لدعبل الخزاعي (صـ٣٥).

مضى له من العمر ثمانمئة سنة، منها أربعمائة سنة سيدًا شريفًا، وأربعمئة ملكًا مملكًا - فقال لهم: قد أسمعكم الداعي ونفذ فيكم البصر ولزمتكم الحجة، وانتهى بكم الأمر إلى حد الرجاء، ومرجو حسن القضاء، فليس أحد أعظم في خلقه رزية ولا في أمره بلية ممن ضيّع اليقين وغره الأمل، وإنما البقاء بعد الفناء. وقد ورثنا من كان قبلنا وسيرثنا من يكون بعدنا، وقد حان الرحيل من محل زائل وظل مائل، ألا وقد تقارب سبب فاحش وخطب جليل فاستصلحوا ما تقدمون عليه، وارضوا بالباقي خلفًا من الفاني سلفًا، وأجملوا في طلب الرزق، واحتملوا المصائب بأحسن الاحتساب تستجلبوا النعماء. واستديموا الكرامة بالشكر قبل العجلة إلى النقلة وانتقال النعم ودول الأيام وتصرف الحالات، فإنما أنتم فيها أهل للمصائب وطريق للمعاطب، فاتتهوا، ودعوا المذاهب في هذه الغرّارة الضرّارة أهلها، في كل يوم لهم جرعة شرق، ومع كل أكلة غصص. ولن تنالوا فيها نعمة إلا بفراق أخرى، فأنتم الخلف بعد السلف، تفنيكم الدهور والأيام، وأنم أعوان الحتوف، وعلى أنفسكم وفي معاشكم أسباب مناياكم، لا يمنعكم شيء منها، ولا يغنيكم شيء عنها. في كل سبب منكم صريع ومعترف. وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئًا إلا وضعاه، وهما جديران بتفريق ما جمعاه. أيها الناس اطلبوا الخير ووليه واتركوا الشر ووليه، واعلموا أن خيرًا من الخير عامله، وأن شرًا من الشر فاعله. ثم التفت إلى بنيه وأنشأ يقول:

تجـلَّدَ لحمـي يـا بـنيَّ وأقـشعتْ سحائِبُ جهليْ واسترحتُ عن العذلِ
وودَّعـتُ إخـوانِي الـشَّبَاب وغرَّنِـي غـوايَ وعرَّيـتُ المطيَّـة مـن رحْـلِ
وأصـبَحتُ أخطُـو أسـبُرُ الأرضَ دبيبًـا كمـا يَخطُـو المُقيَّـد بالغـلِّ
وقدْ كُنتُ غَضًّا في الشَّبابِ وعيشهِ كَلَدنٍ من الخَطِّي أو مُرهَفٍ نصل
أجـدُّ وأُمـضِيْ في الأمـورِ إذا دحـت قوَادحُهـا بـالعَزمِ والجِـدِّ لا الهـزلِ
فلمَّـا رأيـتُ الـدَّهرَ يـنقَضُ مِرَّتـي كمـا انتقـضتْ بعـدَ القَـوَى مِـرَّةَ
فَزِعتُ إليكُمْ بالوصَّيةِ فاحفظُوا وصـاتِي وبـادرتُ التَّغيُّـر مِـنْ عَقلِـيْ
بـنيَّ حلبـتُ الـدَّهرَ بالـدَّهرِ بُرهـةً وذُقـتُ بِـهِ طَعـمَ الممـرِّ مِـنَ المَحلِـيْ
وقايستُ أخـلاقَ الرِّجـالِ فلم أجِدْ لـذي شـرفٍ فيهـا عُلَـوًّا مـع البُخـلِ
ولمْ أرَ مثـلَ الجَـودِ داعٍ إلى العُـلا ولا كالنَّـدى داعٍ إلى شـرفٍ معلـي

وأدركَ عُمرِي السَّدَّ قبلُ انهدامِهِ وعهدِيْ به إذ ذاكَ مُجتمِعُ الشَّملِ
ونحنُ مُلُوكُ النَّاس طُرًّا وما لنا نظِيرٌ بحزنٍ في البلادِ ولا سهلِ
وقَدتُ جيادَ الخيلِ من سدِّ مأربٍ إلى يثربِ الآطامِ والحرث والنّسل
وأدركتُ رُوحَ اللّهِ عيسى بنَ مريمٍ ولستُ لعمرُ اللّهِ إذ ذاكَ بالطّفلِ
إذا متُّ فانعوني إلى كُلِّ سيِّدٍ شريفٍ وأعلُوا بالرَّزيةِ والثُّكلِ
وكُونُوا على الأعداءِ أَسدًا أعِزَّةً وقُومُوا لتشييد المَعَالي على رحلِ
وإنْ قامَ مِنكُمْ قائِمٌ فاسمعُوا لهُ ولا تخذُلُوهُ إنَّما الذُّلُ في الخذلِ
وكُونُوا لهُ حِصنًا حصينًا ومعقِلاً منيعًا وأبلُوا يا بنيَّ مع المَبلِي
وإنْ ظالمٌ من قومِكُمْ رامَ ظُلمكُمْ فأغضُوا وحامُوا يا بنيَّ على الأصلِ
فلمْ يعدُ يومًا ظالِمٌ ضُرَّ نفسِهِ ولا الحُلمُ أسنَى بالرِّجالِ من الجهلِ
ولا تهنُوا أنْ تأخُذُوا الفَضلَ بينكُمْ على قومِكُمْ إن الرِّئاسةَ في الفضلِ
ولا تهنُوا أن تُدرِكُوا النُّبلَ إنَّنِي رأيتُ ذَوي العِزِّ المَدارِكِ للنُّبلِ
وإنْ مِنكُمُ جانٍ جنى مُصمئِلّةً عوانًا وأبدتْ عن نواجِذِها العُصلِ
وشالَت بِقَطريها تلظّى وشبَّها لإضرامِها الغَاوُونَ بالحَطبِ الجَزلِ
فكُونُوا أمامَ العالمينَ بضربكُمْ وقومكمُ حدَّ الأسِنَّةِ والنَّبلِ
وإنْ كانَ من يَسعَى إلى الحربِ صُدُورَ القَنَا بالخيلِ مِنهَا وبالرَّحْلِ
ومُوتُوا كِرَامًا بالقواضِبَ والقُنَا وما خيرُ موتٍ لا يكونُ من القَتلِ
وعافُوا المَنَايا بالضَّنا إنَّ في الضَّنا لخبلاً لِمنْ يَضنى يَزِيدُ على الخَبلِ

ويقال: إن ولد عمرو بن عامر ما زال يحفظ هذه الوصية، ويعمل بها، ويجري أموره عليها، ويوصي بها في الجاهلية والإسلام. ولها في ذلك أشعار محفوظة تتناشدها العرب في المجالس والمحافل وفي ملاقاة الرجال عند النزال وفي إكرام الضيف وحياطة المستجير ودفع الضيم والمحاماة على الحسب[٦٩].

وصية الأمين لابن ماهان:

(٦٩) وصايا الملوك (صـ٢٩).

وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في ٧ من شعبان سنة ١٩٥هـ وخرج معه الأمين يشيعه وأقبل يوصيه فقال: امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء وول الرى يحيى بن علي واضمم إليه جندا كثيفا ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجيء من خراجها وول كل كورة ترحل عنها رجلا من أصحابك ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامه وأحسن جائزته ولا تعاقب أخا بأخيه وضع عن أهل خراسان ربع الخراج ولا تأمن أحدا رماك بسهم أو طعن في أصحابك برمح ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثة أيام من اليوم الذى تظهر فيه عليه فإذا أشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك فإن غره الشيطان فتناصبك فاحرص على أن تأسره أسرا وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان فتول إليه المسير بنفسك أفهمت كل ما أوصيك به قال نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال سر على بركة الله وعونه[٧٠].

وصية الأمين لأحمد بن مزيد:

ثم ندب عمة أحمد بن مزيد فلما أراد الشخوص دخل على الأمين فقال أوصنى أكرم الله أمير المؤمنين فقال: أوصيك بخصال عدة إياك والبغى فإنه عقال النصر ولا تقدم رجلا إلا باستخارة ولا تشهر سيفا إلا بعد إعذار ومهما قدرت عليه باللين فلا تتعده إلى الخرق والشره وأحسن صحابة من معك من الجند وطالعني بأخبارك في كل يوم ولاتخاطر بنفسك في طلب الزلفة عندى ولا تستقها فيما تخوف رجوعه علي وكن لعبد الله أخا مصافيا وقرينا برا وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ولا تخذله إن استنصرك ولا تبطىء عنه إذا استصرخك ولتكن أيديكما واحدة وكلمتكما متفقة(٧١).

وصايا المنصور لابنه المهدى:

قال المنصور لابنه المهدى يا بنى لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناتهوسيئاته واعلم أن الخليفة لا يصلحه إى التقوى

(٧٠) تاريخ الطبري (٥/ ٧١).
(٧١) جمهرة خطب العرب (٣/ ١١٠).

والسلطان لا يصلحه إى الطاعة والرعية لا يصلحها إى العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه[٧٢].

وصية أخرى له:

ووصاه فقال له إنى لم أدع شيئا إلا قد تقدمت إليك فيه وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحدا يصر مفتاحه في كم قميصه فقال للمهدى انظر هذا السفط فاحتفظ به فإن فيه علم ابائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الأكبر فإن أصبت فيه ما تريد وإلا فالثانى والثالث حتى بلغ سبعة فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها فإنها بيتك وعزك قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الإحسان إليهم وتعظم أمرهم وتوطىء الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإن عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيرا فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في أهله وولده وما أظنك تفعل وإياك أن تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها وما أظنك تفعل وإياك أن تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك وأظنك ستفعل[٧٣].

وصية أخرى له:

(٧٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٢٣)، جمهرة خطب العرب (٣/ ٣٤).
(٧٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٠).

ووصى المهدى أيضا فقال اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب احفظ يا بنى محمدا في أمته يحفظ الله عليك أمورك وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم والزم الحلال فإن فيه ثوابك في الاجل وصلاحك في العاجل وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه وأزجر عن معاصيه من الحدود لأمربه في كتابه واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم فقال: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فالسلطان يا بنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودين الله القيم فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القران واحكم بالعدل ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع في الدواء وعف عن الفىء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمن السبل وخص الواسطة ووسع المعاش وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم واصرف المكاره عنهم وأعد الأموال واخزنها وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة والحوادث غير مضمونة وهى من شيم الزمان وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد فتتدارك عليك الأمور وتضيع جد في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا واجتهد وشمر فيها وأعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل واستعمل حسن الظن بربك وأسىء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت علىبابك وسهل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك ووكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى إليك والله خليفتى عليك[٧٤].

(٧٤) جمهرة خطب العرب (٣/ ٣٦).

وصية دريد بن الصمة:

قال دريد بن الصمة لمالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما بعده من أيام مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فأنقض به ثم قال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شئ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ويحك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم ألق الصبا على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك.

قال لا والله ما أفعل إنك قد كبرت وذهل عقلك قال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني ثم أنشأ يقول:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع[٧٥]

قال ابن دأب: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمة خيرًا فقال: وبم أوصيه؟ إني لأعلم أنه من بني مروان. ثم أمر بالكتاب إليه: أما بعد. فاتق، يا يزيد، الصرعة بعد الغفلة فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة. تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتقدم على من لا يعذرك والسلام.

ويروى أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى حشمه ولحمته يبكون، ففتح عينيه فاطلع في وجوههم ثم قال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما خلف وتركتم عليه ما اكتسب ! ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له ! ولما احتضر معاوية أقبل على ابنة قرظة فقال: بكيني، فقالت: الهزج

ألا أبكيه ألا ألا كلّ الفتى فيه

(٧٥) عيون الأثر (٢/ ٢١٣).

ثم قال لابنتيه: قلباني. فجعلتا تقلبانه لجنب بعد جنب فقال: إنكما لتقلبانه حولاً قلبًا إن وفي كبة النار. ثم أنشد: الكامل

لا يبعدنّ ربيعة بن مكدّمٍ وسقى الغوادي قبره بذنوب

ثم قال ليزيد: إذا أنا قضيت فأحسن غسلي، واجعل في آخره مسكًا وكافورًا، وأحسن الصلاة علي ثم ادفني في لحدي ودعني وربي. فلما بلغ ابن عباس موته قال: الكامل

جبلٌ تصدّع ثمّ مال بجمعه في البحر لا رتقت عليه الأبحر[٧٦]

أوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه: أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية وجنة واقية. والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحصن كهف، وأزين حلية. ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور. فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاء، وهابتكم الأعداء. إياكم والتباغي والتحاسد فإن بهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون. انظروا يا بني، مسلمة بن عبد الملك فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به. وأكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القناطر. كونوا أولادًا أبرارًا، وفي الحرب أحرارًا، وللمعروف منارًا، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة. ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: لا ألفينك يا وليد، إذا وضعتني في حفرتي تعصر عينيك كما تفعل الأمة، بل شمر واتزر، والبس جلد نمر، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا. أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز خيرًا. لا تعزلهما ولا تستبدل بهما. وأوصيك بابن عمنا هذا خيرًا يعني علي بن عبد الله بن العباس. فأما الحجاج فلست تستغني عنه.

ثم أرسل إلى خالد وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: ما تقولان: أأقيلكما بيعة الوليد؟ قالا: معاذ الله يا أمير المؤمنين. قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما. فقاما فخرجا. ثم دعا بقداح بعدة ولده فأمر

(٧٦) التعازي والمراثي (صـ٣٣).

بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرها. فلم يقدر على ذلك. ثم دفعت إلى آخر، ثم آخر، حتى استقراهم جميعًا، فأعياهم كسرها، فأمر بها ففرقت، ثم دفع إلى كل واحد منهم قدحًا وأمره بكسره ففعل، فقال: هكذا أنتم بعدي، إن اجتمعتم لم يكسر أحد، وإن تفرقتم كسرتم. وقال: احفظوا عني هذه الأبيات: الكامل

انفوا الضّغائن عنكم وعليكم ... عند المغيب وفي الحضور الشّهّد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ... إن مدّ في عمري وإن لم يمدد
فلمثل ريب الدّهر ألّف بينكم ... بتواصلٍ وتراحمٍ وتودّد
حتّى تلين قلوبكم وجلودكم ... لمسوّدٍ منكم وغير مسوّد
إنّ القداح إذا أجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنقٍ وكسرٍ أيّد
عزّت فلم تكسر وإن هي بدّدت ... فالوهن والتّكسير للمتبدّد

فلما توفي سجاه الوليد، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: لم أر مثلها مصيبةً ولا مثلها نعمة. فقد الخليفة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على عظم المصيبة. والحمد لله رب العالمين، على عظيم النعمة. ثم دعا الناس إلى بيعة، فبايع الناس ولم يتخلف أحد. فسمع أحد ولد عبد الملك يبكي ويقول: مات، والله، أمير المؤمنين. فقال: ويلك لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال أخو بني أسيد أوس بن حجر: الطويل

إذا مقرمٌ منّا ذرا حدّ نابه ... تخمّط فينا ناب آخر مقرم

وأوصى أبو قيس بن صرمة الأنصاري ولده عند موته فقال: الخفيف

يا بنيّ، الأرحام لا تقطعوها ... وصلوها قصيرةً من طوال
واتّقوا الله في ضعاف اليتامى ... ربّما يستحلّ غير الحلال
اعلموا أنّ لليتيم وليًّا ... عالمًا يهتدي بغير السّؤال
يا بنيّ، الأيّام لا تأمنوها ... واحذروا مكرها وكرّ اللّيالي
واعلموا أنّ مرها لنفاد الـ ... ـخلق ما كان من جديدٍ وبال
واجمعوا أمركم على البرّ والتقـ ... ـوى وترك الخنا وأخذ الحلال[٧٧]

(٧٧) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧١)، التعازي والمراثي (صـ١٢٣).

وصية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب: لما ثقل معاوية، بعث إلى يزيد وهو في ضياعه، فأتاه غلام له يقال له عجلان، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد قال في ذلك شعرًا: البسيط

جاء البريد بقرطاسٍ يخبّ به ... فأوجس القلب من قرطاسه جزعا
قلنا: لك الويل ماذا في صحيفتكم ... قال: الخليفة أمسى مثبتًا وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا ... كأنّ أغبر من أركانها انصدعا
ثمّت ملنا إلى عيسٍ مزمّمةٍ ... نغشى الفجاج بها لا نأتلي سرعا
لسنا نبالي إذا بلّغن أرحلنا ... ما مات منهنّ بالبيداء أو ظلعا
حتّى دفعنا لرأس النّاس كلّهم ... هديًا، وخيرهم فعلاً ومصطنعا
من لم تزل نفسه توفي على شرفٍ ... توشك مقادير تلك النّفس أن تقعا
لمّا انتهينا وباب الدّار منصفقٌ ... لصوت رملة ريع القلب فانقلعا

قال: فلما دخل على معاوية خلا به وأخرج عنه أهل بيته وقال: يا بني قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي؟ فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك. قال يزيد: آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردة ومضى والأمة عنه راضون؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمر الذي مصر الأمصار وجند الأجناد، وفرض الأعطية، وجبى الفيء وقاتل العدو، ومضى والأمة عنه راضون؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذي أكل في حياته، وورث في مماته، واحتمل الوزر على ظهره؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به واقتلهم عليه. قال: يا يزيد، انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعًا فتقتل خيار قومك وتغزو حرم ربك بأشابات الناس فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك ميتة فجاءة، فلا دنيا أصبت، ولا آخرة أدركت. يا يزيد أما إذا لم تصب الرشد فإني قد وطأت لك الأمور، وذللت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمعه واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا

الأمر إلا ثلاثة نفر: الحسين ابن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وتخلى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن. وما أظنه يقاتل عليها إلا أن تأتيه عفوًا. وأما الذي يجثم جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب، فإن أمكنته الفرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إربًا إربًا إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تقبل قلوبهم إليك. وأما الحسين بن علي فإن له رحمًا وحقًا وولادة من رسول الله ﷺ ولا أظنه أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه. فإني لو كنت صاحبه صفحت وعفوت عنه قم عني. وصلى عليه عمرو بن العاص[٧٨].

قال زياد عند موته لابنه عبيد الله: لا تدنس عرضك، ولا تبذلن وجهك، ولا تخلفن جدتك بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك عيبًا، وإن قضى حاجتك جعلها عليك منًا. واحتمل الفقر بالتنزه عما في أيدي الناس، والزم القناعة بما قسم لك، فإن سوء حمل الفقر يضع الشرف، ويخمل الذكر، ويوجب الحرمان[٧٩].

لما انصرف مروان بن الحكم من مصر استعمل ابنه عبد العزيز عليها، وقال له حين ودعه: أرسل حكيمًا ولا توصه. وانظر أي بني، إلى أهل عملك، فإن كان لهم حق عندك غدوة فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخرهم إلى غدوة. أعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم. وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يتبين لك الرأي فاكتب إلى لأرى لك فيه وإياك إن كان بك غضب على أحد من رعيتك أن تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفئ الجمرة، فإن أو لمن جعل السجن كان حليمًا ذا أناة. ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك، ثم اعرف منازلهم منك عل غيرهم بلا استرسال ولا انقباض. أقول قولي هذا واستحلف الله عليك[٨٠].

---

(٧٨) الفتوح لابن الأعثم (٥/ ٦ـ٧)، العقد الفريد (٤/ ٣٤٩)، المعمرون والوصايا (صـ٥٠).

(٧٩) التذكرة الحمدونية (صـ٣٨٥).

(٨٠) جمهرة خطب العرب (٢/ ١٩١).

وصية الملك المنذر لولي عهده:

قال المدائني قال المنذر بن المنذر لماحارب غسان بالشام لابنه النعمان يوصيه إياك واطراح الإخوان وأطراف المعرفة وإياك وملاحاة الملول وممازحة السفيه وعليك بطول الخلوة والإكثار من السمر والبس من القشر ما يزينك في نفسك ومروءتك واعمل ان جماع الخير كله الحياء فعليك به وتواضع في نفسك وانخدع في مالك واعلم ان السكوت عن الامر الذي يعنيك خير من الكلام فاذا اضطررت اليه فتحر الصدق والإيجاز تسلم ان شاء الله تعالى[٨١].

وصية معاوية بن ابي سفيان:

قال الهيثم بن عدي عن ابي بكر بن عياش عن أشياخه لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المري والضحاك بن قيس الفهري فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده وانظر الى أهل العراق فان سألوك عزل عامل لهم في كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدري على ما انت عليه منهم ثم انظر الى اهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ولا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين بن علي فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع وأما الحسين فاني أرجو ان يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه واما ابن الزبير فانه خب ضب، وفي غير هذه الرواية فان ظفرت بابن الزبير فقطعه إربا، فمات معاوية فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال: إن امير المؤمنين معاوية كان أنف العرب وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره فصلى عليه الضحاك بن قيس ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فأنشأ يقول:

إصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاك
لا رزء أصبح في الأقوام قدعلموا ... كمارزئت ولا عقبى كعقباك
أصبحت راعي أهل الدين كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاك

(٨١) البيان والتبيين (١/ ٥٩٣).

وفي معاوية الباقي لنا خلف إذا نعيت ولا نسمع بمنعاك

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك(٨٢).

وصية يعرب بن قحطان:

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: يقال: إن يعرب بن قحطان حفظ وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل بها. ويقال: إنه أول من تبحبح بالعربية الواسعة، ونطق بأفصحها، وأوجزها، وأبلغها. والعربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه. وهو الذي ذكره حسان بن ثابت الأنصاري في شعره الذي يقول فيه:

تعلمتُ من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديمًا ما لكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم في القفر
تقولون مانونخ ودونخ وكنتم إذا ما التقينا كالرصاص على الجمر
منازلكم كوثى ومنها درجتمُ إلينا كأفراخ درجن من الوكر
فنحن وأنتم كالذي قال لم أزل أعلمه رميًا ليمنع لي ظهري
فلما نشا واشتد ساعده رمى فلم يُخطِ ظهري إذ رمى لا ولا نحري

وفي ذلك يقول علقمة ذو جدن:

ومِنّا الذي لم يُعربِ الناسُ مثله وأعربَ في نجدٍ هناكَ وغارا

فقال لهم: يا بني احفظوا مني خصالاً عشرًا تكون كذا لكم ذكرًا وذخرًا. يا بني تعلموا العلم واعملوا به. واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليه، فإنه داعية القطيعة فيما بينكم، وتجنبوا الشر وأهله، فإن الشر لا يجلب عليكم خيرًا. وأنصفوا الناس من أنفسكم لينصفوكم من أنفسهم. وإياكم والكبر؛ فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم. وعليكم بالتواضع، فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم. واصفحوا عن المسيء إليكم، فإن الصفح عن المسيء يجنبكم العداء ويزيد مع السؤدد سؤددًا ومع الفضل فضلاً. وآثروا الجار الدخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم. ولأن يسوء حال أحدكم خير له من أن يسوء حال جاره، لأن تفقد الناس للمقتدي أكثر من تفقدهم للمقتدى به. وانصروا مواليكم، فإن مواليكم في السلم والحرب منكم ولكم. وابن مولاكم من

(٨٢) البيان والتبيين (١/ ٢٨١).

أنفسكم، وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائركم. وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه بمثل ما تشيرون به على أنفسكم في مثل ما استشاركم فيه، فإنها أمانة ألقاها في أعناقكم، والأمانة ما قد علمتم. وتمسكوا باصطناع الرجال أجدر أن تسودوا به عليهم، وأحرى أن يزيدكم ذلك شرفًا وفخرًا إلى آخر الدهر. ثم أنشأ يقول: "من الوافر"

بنيَّ أبوكمُ لم يعدُ عمَّا ... بهِ وصَّاهُ قحطانُ بن هودِ
فوصاكم بما وصى أباكم ... أبوه عن الإله عن الجدودِ
أذيعوا العلمَ ثمَّ تعلموه ... فما ذو العِلم كالطِفل البليدِ
ولا تُصغُوا إلى حسدٍ فتغوُوا ... غوايةَ كلِّ مختلَ حسودِ
وذُودوا الشرَّ عنكَمْ ما استطعتم ... فليسَ الشرُّ من خُلَقِ الرشيدِ
وكونُوا منصفينَ لكلِّ دانٍ ... لينصفكَمْ مع القاصي البعيدِ
وبابُ الكِبرْ عنكمْ فاتركُوهُ ... فإنَّ الكِبرَ من شِيَمِ العنيدِ
عليكمْ بالتواضُع، لا تزيدوا ... على فضلِ التواضُع من مزيدِ
وإنَّ الصَّفح أفضلُ ما ابتغيتمْ ... به شرفًا مع المَلكِ العتيدِ
وحقُّ الجارِ لا تنسوه فيكمْ ... فإنَّ الجارَ ذو الحقِّ الوكيدِ
عليكمْ باصطناعِ الخيرِ حتَّى ... تنالوا كُلَّ مكرمةٍ وجودِ[٨٣]

وصية سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عبد شمس وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي ﷺ جمع أهل مملكته ووجوه أهل بيته وعشيره، وأجلس ابنه حمير عن يمينه، وأجلس ابنه كهلان عن شماله، ثم قال لهم: أيها الناس، هل يصلح ليميني أن تقطع شمالي، أو يصلح لشمالي أن تقطع يميني؟ فقالوا بأجمعهم: أيها الملك، إنه لا يصلح شيء مما ذكرت. فقال لهم: إن أنتم إن همت يميني لقطع شمالي أو همت شمالي لقطع يمين وأكون غافلاً عنهما لا أسُدُّ الشِّمال عن اليمين ولا أسُدُّ اليمين عن الشمال فما أنتم صانعون؟ قالوا: نمنع اليمين عن الشمال، ونمنع الشمال عن اليمين. فقال لهم أعطوني العهود

(٨٣) وصايا الملوك (صـ٢٠).

والمواثيق على وفائكم بما تكلمتم به وقلتم إنكم تفعلونه في يميني وشمالي. قال: فأعطوه العهود والمواثيق على ذلك.

ثم قال: أيها الناس إني لم أرد بيميني وشمالي إلا حمير وكهلان، وإني لن آمن أن يختلفا بعدي في الأمر، ولم آخذ العهود والمواثيق عليكم إلا لتحولوا بين من يروم من هذين لصاحبه سوءًا أو خلافًا، وأن لا يطلب أحدهما بعدي أكثر مما يقسم له في مجلسنا هذا.

ثم قال لهم: أيها الناس، إن حمير أكبر من كهلان، وحقه أن يكون عن يميني، وإن كهلان أصغر من حمير، وحقه أن يكون عن شمالي، وإن نصيب حمير من ملكي مثل نصيب يميني من بدني، فانظروا - معشر الناس - ما يصلح لليمين، فادفعوه إلى اليمين، وما يصلح للشمال فادفعوه إلى الشمال.

قال: فدفعوا إلى اليمين السيف والقلم والسَّوط، وحكموا لليمين بذلك. وقالوا: هذه ثلاثة أشياء تعمل بها اليمين، ولا تعمل بها الشمال. ودفعوا إلى الشمال العنان والترس والقوس. وقالوا: هذه ثلاثة أشياء تعمل بها الشمال دون اليمين؛ أما القوس فإنه لا بد للشمال من معونة اليمين في القوس. قال: ثم حكموا بأن صاحب السيف لا يصلح له إلا الثبات والوقوف في موضعه، وحكموا أن صاحب القلم لا يكون إلا مدبرًا فاتقًا راتقًا. وحكموا أن صاحب السوط لا يكون إلا رابضًا سائسًا. ثم حكموا أن الفتق والرتق والثبات والوقوف والتدبير والرياضة والسياسة لا يكون إلا للملك الأعظم الراقد في دار المملكة، وهو حمير. قال: ثم حكموا أن العنان يقود أعنة الخيل للذب عن الملك ومكابدة الأعداء حيث كانوا. وحكموا أن الترس يرد به البأس، ويدرأ به الحد وتقهر به الحروب عند التلاقي، وتتجشم به المعارك. وحكموا أن القوس ينال بها المناوئ والمناصي على البعد منها. ثم حكموا قيادة أعنة الخيل والمكابدة للأعداء حيث كانوا ورد البأس ودفع الحد وقهر الحروب عند التلاقي ومناوأة الأعداء ومناصاتها لا يصلح إلا لصاحب الدولة والذاب عنها والرامي عن جمرتها والساد لخللها والقائم بحروبها وفتوحاتها وإصلاح الثغور وسدها عنها، وهو كهلان.

قال: فتقلد حمير الملك الراتب في دار المملكة وسمي أيمن، لجلوسه عن يمين أبيه، وتقلد كهلان الأطراف وأعمالها وثغورها ومناوأة العدو حيث كان. على أن لكهلان على حمير المعونة في ذلك مثل معونة اليمين للشمال بالرمي بالقوس،

وحكموا أن معونة اليمين للشمال بالرمي بالقوس والنزع والنبل، وهما في غير القوس المال والنجدة، وكان لحمير على كهلان الطاعة وكفاية ما تقلده كهلان.

ففي ذلك يقول هي بن بيّ بن جرهم: " من البسيط "

ما سادَ هذا الورى أبناءُ قحطانِ إلا لفضلٍ لهم قِدمًا وإحسانِ
ما في الأنام لهم حيٌّ يشاكلهمْ ولا لواحدهمْ في الأرضِ من ثانِ
لم يشهدوا الناس في بدو ولا حضر حكمًا كحكم عظيمِ المُلكِ والشانِ
سبا بن يشجب لابنيه وإنَّهما للسيدانِ الرفيعانِ العظيمانِ
أعطى ابنه حميرًا منهُ اليمينَ وقد أعطى الشِّمالَ ابنه المُسمى بكهلانِ
وقال يُقسمُ ملكي اليوم بينهما وقسمةُ الملكِ للاثنان سهمانِ
تُعطى اليمينُ الذي تسطو اليمينُ به فيما تعانيهِ من سرٍّ وإعلانِ
وللشِّمال الذي تسطوا الشمال بهِ عندَ النوائبِ من بأسٍ وسلطانِ
والسَّيفُ والسَّوطُ صارا لليمينِ معًا وذلك القلمُ الجاري ببرهانِ
والقوسُ والتُّرسُ صارا للشِّمالِ وقد صار العنانُ لهما والمُلكُ نصفانِ
فصار هذا بتاج المُلكِ مُعتصبًا دونَ الجحاجحِ من أولادِ قحطانِ
وصارَتِ الخيلُ تحمي الأرضَ قاطبةً ومن عليها لهذا الآخرِ الثَّاني[٨٤]

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن حمير وكهلان لم يزالا على ذلك وأولادهما من بعدهما وأولاد أولادهما لحمير على كهلان بالطاعة، ولكهلان على حمير المال والنجدة، والملوك الرَّاتبة في دار المملكة من حمير، والملوك في الأطراف والثغور من كهلان.

وصية حمير بن سبأ:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حمير بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان وصى بنيه - وكانوا اثني عشر رجلاً - فقال: يا بني، ما اجتمع اثنان متآزران متعاضدان على أربعة نفر أو خمسة من أشتات الناس إلا

(٨٤) وصايا الملوك (صـ٣٠).

غلباهم وملكا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع خمسة نفر متآزرون متعاضدون على عشرة أنفار من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع عشر أنفار متآزرون متعاضدون على الجماعة التي يكون ميلهم عدد أوزان الأنفس من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم. وأيُّما عصابة غلبت أربعين رجلاً يوشك لها أن تغلب الثمانين والمائة وما فوق ذلك، وغلاب المائة حريُّون أن يغلبوا المائتين. وغلاب المائتين حريون أن يغلبوا الألف. ومنتهى العز للفرقة أن لا يطمع فيها الألف ألف رجل. وما من رجل أطاعه رجل فقام بالمجازاة له على ذلك إلا أطاعه عشرة، وما من رجل أطاعه عشرة أنفار فقام بالمجازاة لهم على طاعتهم له إلا أطاعه مائة رجل، ومن أطاعه مائة رجل فقام لهم بالمجازاة على طاعتهم له إلا أطاعه ألف رجل، وما من رجل أطاعه ألف رجل إلا وقد ساد لا محالة..

يا بني، أطيعوا الأرشد فالأرشد منكم، ولا تعصوا أخاكم الهميسع فإنه خليفتي بعد الله فيكم وأميني فيما بينكم، وإنه لسيفكم وأنتم حد ذلك السيف، وإنه لرمحكم، وأنتم سنان ذلك الرمح وما السيف لولا الحد، وما الحد لولا السيف، وما السنان لولا الرمح، وما الرمح لولا السنان، أنتم بالهميسع وله، والهميسع بكم ولكم. ثم أنشد يقول:

هميسعُ لم تجهلْ معَ الناسِ سيرتي ... فسرْ لي بها في النَّاسِ بعدي هميسعُ
بنيَّ بهمْ أوصيكَ خيرًا فإنَّهمْ ... تضرُّ بهم من شئتَ يومًا وتنفعُ
وعمك وابن العمِّ دونكَ بعده ... مردُّ الأعادي الكاشحينَ ومدفعُ
همُ لكَ كهفٌ بل همُ لكَ موئلٌ ... وهمْ لكَ من دونِ البريةِ مفزعُ
وليسَ عُقابُ الطير يومًا وإن لها ... يذِلُّ وتنقادُ البغاثُ وتخضعُ
تؤولُ إلى وكرٍ سوى وكرهَا الذي ... تؤولُ إليهِ للمبيتِ وترجعُ
هميسعُ إنَّ الناسَ وحشٌ وإنهم ... إلى الرِّفق من خمس القوارب أسرعُ
هميسعُ جُدْ بالخيرِ تُجزَ بمثلهِ ... فكلُّ امرئٍ يُجزى بما هو يصنعُ
هميسعُ دارِ الناسَ تُعطَ قيادَهُمْ ... فحظّكَ منهم أن يُطيعوا ويسمعوا
هميسعُ لا واللهِ إن أنتَ حاصد ... طوالَ الليالي غيرَ ما أنتَ تزرعُ

فأُوصيكَ بالإفضالِ مثلَ وصيَّتي بإخوتِكَ القُربى فهلْ أَنتَ تسمعُ[٨٥]

وصية زهير بن أيمن:

علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن زهير بن أيمن بن الهميسع وصى ابنه عريب بن زهير ولم يكن له ولد غيره، فقال: يا بني، قد انتهى إليك ما كان من وصية جدك سبأ بن يشجب بن يعرب، وما افترق عليه ابناه يوم الوصية والقسمة، وهما جداك حمير وكهلان فلا تجرين الأمر إلا على ما جرت به الرسوم من لدنهما إلى هذه الغاية. وأوصِ بعدك من يصلح لهذا الأمر من ولدك ومن إخوتك. وأوصيك بالثبات على ما وجدتني عليه من العدل في الرعية والتجاوز عن المسيء والكف عن أذى العشيرة، والتحفظ بها والتحبب إليها، فما المرء إلا بقومه ولو عز. وأنشأ يقول: "من البسيط"

عَريبُ لا تنسَ ما وصَّى أبُوكَ بهِ إنَّ الوصية لمّا يعدُها الرَّشَدُ
كلُّ امرئٍ عِزُّهُ ... فاعلم عشيرتُهُ وفي العشيرةِ يُلفى العِزُّ والعددُ
ما البيتُ لو لمْ يكنْ فوقَ الأساسِ ولم تقلّه دعمٌ للسعف والعَمَدُ
لولا الغَريفُ ولولا خيسُ غابَتهِ لما سطا موهِنًا بالقُدرةِ الأسدُ
فضيلة المرء تؤويه وتعضدُهُ إن الذليلَ الذي ليست لهُ عَضُدُ
والمرءُ تسلمُ دُنياهُ ونعمتُهُ ما ليسَ يأتيهِ من إخوانِهِ الحسدُ[٨٦]

وصية عريب بن زهير

علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع ابن حمير وصى بنيه وهم أربعة نفر؛ الصباح وجنادة وأبرهة وقطن بنو عريب بن زهير فقال لهم: يا بني، إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة والملك يدل على ستة أشياء. إني وجدت السؤدد لا يزايل الكرم، ولا يسود من لا كرم له. وإني وجدت العز مع العدد حيثما كان، ولا عز لمن لا عدد له، ولا عدد لمن لا عشيرة له، وإني وجدت النجدة في الأيادي، ولا نجدة لمن لا أيادي له، وإني وجدت الطاعة مع العدل، ولا طاعة لمن لا عدل له، وإني وجدت

(٨٥) خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (صـ١٦).
(٨٦) وصايا الملوك (صـ٢٦).

الملك في اصطناع الرجال، ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال، يا بني، احفظوا وصيتي واثبتوا عليها، واعملوا بها، ولا تعصوا أخاكم قطنًا فإنه خليفتي فيكم بعد الله وولي الملك بعدي دون أي أحد. وأنشأ يقول: " من البسيط "

مضتْ لأسلافنا فيمنْ مضى سُنَنٌ ساسُوا بها لَهمُ مُلكًا فما وَهنُوا
فَسُسْتُ بعدهُمُ المُلكَ الذي مَلكُوا وأنتَ سائسُ ذاكَ المُلكَ يا قَطَنُ
لم أعدُ سِيرتهُمْ يومًا وأنتَ لهمْ لا تعدُ عن سيرتي ما أورقَ الفَنَنُ
بالأصلِ تُمرعُ لا بالفَرعِ مونقةٌ وكيفَ يخضرُّ لولا أصلُهُ الغُصنُ
ذَرِ التغافُل عن نيلٍ تجُودُ بهِ إن التغافلَ غيٌّ والهُدى فِطَنُ[87]

(٨٧) السابق نفسه.